الفصل العشرون

وقد كان خالد سعيدًا ناعم البال في حياته الجديدة، مُغتبطًا بما أتيح له من نعمة حين تزوج «مُنى» وأصهر إلى الحاج مسعود، ولم يمض عام وبعض العام على هذا الصهر حتى رزقته «مُنى» غلامًا ذكرًا سمَّاه محمدًا، وصوِّرْ ما شئت من سروره بمقدم هذا الغلام الذي جاء حسن الطلعة جميل المنظر ميمون النقيبة بعد هاتين الصبيتين البائستين، نعم! إن لله لحكمة تعيا العقول عن إدراك كنهها وتعمق حقائقها، لقد غرس أبوه في داره شجرة البؤس فشقيت بها أمه، وشقيت بها نفيسة وأسرتها، وشقيت بها الصبيتان، ولقد غرس الحاج مسعود في داره شجرة النعيم فسعد بها هو، وسعد بها حموه، وسعدت بها مُنى، فليت أم خالد عاشت حتى تشارك في هذا النعيم وحتى تسعد بهذا الحفيد! وكان قلب خالد يخفق كلما ذكر هذه النعمة، وما أكثر ما كان يذكرها! لأنه كان يشفق أن تسقط في أثنائها ثمرة من أثمار تلك الشجرة البغيضة التي رسخت أصولها، ونمت فروعها في دار أبيه، وقد تواترت نعم الله على خالد، فرزقته «مُنى» غلامًا آخر وغلامًا ثالثًا، حتى شارك امرأته في الخوف من حسد الحاسدين على هؤلاء الصبية الذكور الذين أخذ بعضهم يتبع بعضًا لا تخالف بينهم صبية.

ويُصبح خالد ذات يوم وإذا الأسرة في خِلاف شديد وخصام يُوشك أن يبلغ العنف، فقد تحدث الشيخ في مجلسه أمس، ولم يكن خالد حاضرًا هذا المجلس، بأنَّه قد وجد لخالد عملًا خيرًا من عمله في محكمة المدينة يُؤجر عليه بما يعدل راتبه مرتين غير ما يسوقه إليه من رزقٍ لا حرج فيه، فهذا العمل في بعض مرافق الدائرة السنية، وما أكثر الخير الذي يُساق مباركًا موفورًا إلى الذين يعملون في مرافق الدائرة السنية! ولا عيب لهذا العمل إلا أنه سيضطر خالدًا إلى ترك مدينته وأسرته وشيخه وذوي قرابته لينتقل إلى مدينة أخرى في أعلى الإقليم مما يلي الصعيد، ولكن خالدًا رجلٌ لا يجد بالانتقال